﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ [يوسف: 11 - 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِمَا قَبْلَهما:

بعْدَ الاتّفاقِ على إبعادِ يوسُفَ عن أبيهم، أعمَلوا الحِيلةَ بإظهارِ التّلطّفِ وإرادةِ النُّصحِ

أكّدوا حِفظَهُم ليوسُفَ وصوّروا ما ينتظِرهُ منَ المسرّةِ

لَمّا تقرَّرَ في أذهانِ إخوةِ يوسُفَ التَّفريقُ بين يوسُفَ وأبيه، أعمَلوا الحيلةَ على يعقوبَ، وتلطَّفوا في إخراجِه معهم، وذَكَروا نُصحَهم له، وما في إرسالِه معهم مِن انشراحِ صَدرِه بالرّتع واللَّعِب، وذكَروا حِفظَهم له ممّا يَسوؤه، قَالُوا: ﴿يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[1].

ولمّا نَفَوا عن أنفُسِهم التُّهمةَ المانِعةَ مِن عدَمِ إرسالِه معهم، ذَكَروا له مِن مَصلحةِ يوسُفَ وأُنسِه - الذي يُحبُّه أبوه له - ما يَقتضي أنْ يَسمَحَ بإرسالِه معهم، فقالوا: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَأۡمَنَّا﴾: الهمزةُ والميمُ والنّون أصلان متقاربان: أحدُهما الأمانةُ التي هي ضدُّ الخيانةِ، ومعناها سكونُ القلبِ، والآخرُ التّصديقُ، والمعنيان مُتَدانِيان، ورجُلٌ أُمَنَةٌ: إذا كان يَأْمَنُهُ النّاسُ ولا يَخافُونَ غائلَتَهُ؛ وأَمَنَةٌ بالفتحِ يُصَدِّقُ ما سَمِعَ ولا يُكَذِّبُ بشيءٍ، يَثِقُ بالنّاسِ[3]، والأمانة: الوديعةُ التي تودَعُ عند من يحفظُها كأنّ معنَى اسمِها: التي ينبغي أنْ تُحفظَ في حِرزٍ أوثقَ الحفظِ، ومؤتمنُ القوم: الذي يثقونَ به ويتّخذونهُ أمينًا حافظًا[4]، ومعنَى ﴿تَأۡمَنَّا﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللّغويِّ، والمرادُ: لمَ تخافُنا عليه[5].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/244.
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 394.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمن).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أمن).
(5) الواحديّ، الوجيز، ص: 540، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/426.

2) ﴿لَنَصِحُونَ﴾: النُّصْحُ: أصلُه يدلُّ على مُلَاءَمَةٍ بين شيئَين وإصلاحٍ لهما، والنُّصْحُ: خِلَافُ الغِشّ[1]، نَصَحَ الشّيءُ: خَلَصَ، وكلُّ شيءٍ خَلَصَ فقد نَصَحَ؛ ونَصَحْتُ لَهُ نَصيحتي أي أَخْلَصْتُ وصَدَقْتُ، والنُّصْحُ: مَصْدَرُ نَصَحْتُه[2]، والنّصيحة: إرادةُ الخيرِ والصّلاح للمنصوح له وإرشادُه له، فهو قولٌ فيه دعاءٌ إلى صلاحٍ، ونهيٌ عن فسادٍ[3]، و"النُّصْحُ: تَحَرّي فِعْلٍ أو قَوْلٍ فيه صلاحُ صاحبِهِ"[4]. ومعنى ﴿لَنَصِحُونَ﴾: نحوطُه ونكلؤُه[5]، أي: نحن نحبُّه ونريدُ الخيرَ به، ونُشفقُ عليه، ومُخلصون له[6].

3) ﴿أَرْسِلْهُ﴾: أصلُ (رسل) يدلُّ على الانْبِعَاثِ والامْتِدَادِ، فالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ[7]، وأصلُ الرِّسْلِ: الانبعاثُ على التُّؤَدَةِ، ومنه: الرَّسُولُ المُنبعثُ[8]، والإرْسالُ: الإطْلاقُ، والإهمال، والتَّخْلِيَةُ، والتّوجيه[9]، والإرْسَالُ في المَحْبُوس إطْلَاقُه، وفي المُطلق بَعثُه[10]، ومعنَى ﴿أَرْسِلْهُ﴾: أطلقْه معنا.

4) ﴿يَرْتَعْ﴾: أصلُ (رتع) يدلُّ على الاتّساعِ في المأكل، رَتَعَ يَرْتَعُ: إذا أكلَ ما شاء، ولا يكونُ ذلك إلّا بالخصب[11]، وأصلُه للبهائم، ويُستعارُ للإنسان إذا أُريدَ به الأكلُ الكثيرُ[12].

ومعنى ﴿يَرْتَعْ﴾ في الآية يتعدّد بحسب القراءات المتواترة فيها؛ فعلى القراءة بكسر العين تفيد معنى رعي الإبل والماشية[13]، وعلى قراءة سكون العين تفيد معنى الأكل مما لذّ من الفاكهةِ وغيرِها[14].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نصح).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (نصح).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (نصح).
(4) الرّاغب، المفردات: (نصح).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/568.
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/426، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/156، ودروزة، التّفسير الحديث: 4/13.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رسل).
(8) الرّاغب، المفردات: (رسل).
(9) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (رسل).
(10) ابن الجوزيّ، نزعة الأعين، ص: 152.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رتع).
(12) الرّاغب، المفردات: (رتع).
(13) ابن خالويه، الحجّة، ص: 194.
(14) ابن جرير، جامع البيان: 12/569.

5) ﴿وَيَلْعَبْ﴾: اللَّعِبُ واللَّعْبُ: ضدُّ الجِدِّ، ويُقال لِكلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لا يُجْدي عليه نَفْعًا[1]، أو كان فِعلُه غيرَ قاصدٍ به مقصدًا صحيحًا، وهو بمعنَى الهزْلِ[2].

والمرادُ باللّعب في الآية: اللّعبُ المباحُ منَ الانبساط والسّرورِ، كالسّباقِ والرّمي وغيرِه[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حيلةٌ ماكرةٌ جمعتْ بينَ العِتابِ الاستنكاريِّ، وتأكيدِ نُصحِهم وحفْظِهم ليوسُفَ

يخبرُ الله تعالى عن طلبِ إخوةِ يوسُفَ من أبيهم أنْ يأذنَ في خروجِ يوسفَ معهم، وذلك بعدَ اتِّفاقِهم على إبعادِه، وأنّهم سألوا أباهم سؤالًا فيه عتبٌ واستنكارٌ خفيٌّ واستجاشةٌ؛ لنفي مدلولِه من أبيهم، والتّسليم لهم بعكسِه وهو تسليمُهُم يوسُفَ فقالوا: (يا أبانا ما لك لا تأمَنُنَا على يوسُفَ مع أنَّه أخونا، ونحن نُريدُ له الخيرَ، ونُشفِقُ عليه ونرعاه، ونخُصُّه بخالِصِ النُّصحِ؟ أرسِلْه معنا غدًا خارجَ المدينةِ إلى الصَّحراءِ يأكُلْ ويَنشَطْ ويَفرحْ، ويلعَبْ بالاستباقِ ونحوِه، وإنَّا لحافِظونَ له من كلِّ ما تخافُ عليه نحوطُه ونكلؤُه)[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الاستئنافِ البيانِّي، في قوله: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا﴾:

استئنافٌ بيانيٌّ يُبيّنُ ما اتّفقَ عليه إخوةُ يوسُفَ من إبعادِه عن أبيه

لم يذكرِ البيانُ الإلهيُّ العاطفَ بين قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا﴾ وما سبقَه ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾؛ لوقوعه استئنافًا بيانيًّا، لِما بين الجُملتين من شبْهِ كمالِ الاتّصال؛ لأنَّ سَوْقَ القِصَّةِ يَستَدعي تَساؤُلَ السَّامعِ عمَّا جَرى بعدَ إشارةِ أخيهم عليهم، وهل رجَعوا عمَّا بَيَّتوا من قتلِه، وصمَّموا على

(1) ابن منظور، لسان العرب: (لعب).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (لعب).
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/139، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/98.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 15/568.

ما أشار به أخوهم من مجرّد إبعادِه عن أبيه، فأتى الجوابُ في هذه الآيةِ[1].

دَلالةُ النّداءِ في قوله: ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾:

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا﴾، وفيه عبّرَ البيانُ الإلهيُّ بأداة النّداءِ (يا) التي تُستعملُ لمناداةِ البعيدِ رغمَ أنّه قريبٌ منهم؛ إشارةً إلى أنّهم أرادوا إظهارَ التّبجيلِ والاحترامِ، وبيانَ المكانةِ العاليةِ في قلوبهم تجاهَ أبيهم؛ ليكونَ نداءً فيه استعطافٌ ليعقوب؛ حرصًا منهم على نيْلِ مرادِهم من إقناعِ يعقوبَ بإرسالِ يوسُفَ معهم.

نداءُ استعطافٍ لنَيْلِ مُرادِهم، في أخذِ يوسُفَ من أبيه

سِرُّ التّعبيرِ بلفظِ الأبوّة ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾:

عبّر البيانُ القرآني بلفظِ الأبوّة؛ إشارةً إلى أنّ خطابَهم أباهُم بنَسَبِ الأُبوَّةِ؛ تَحريكًا منهم لِسلسلةِ النَّسَبِ بينَه وبينَهم، وتذكيرًا لِرابطةِ الأُخوَّةِ بينَهم وبينَ يوسُفَ عليه السلام؛ ليتَسبَّبوا بذلك إلى استِنْزالِه عليه السلام عن رأيِه في حِفْظِه منهم، لَمّا أحَسَّ منهم بأماراتِ الحسَدِ والبغيِ[2]، والمعنَى: ما لك لا تأمنّا، أي لا تجعلُنا أمناءَ على يُوسُفَ مع أنّك أبونا ونحن بنوكَ وهو أخونا[3].

لفظُ الأبوّةِ موحٍ ومُـذكِّـرٌ، بما بينهُ وبينهم، مِن آصرةٍ تُقنِعُه بصدْقِهم

معنى التّركيبِ ﴿مَا لَكَ﴾، ودَلالةُ الاستفهامِ:

﴿مَا لَكَ﴾: ما: استفهاميةٌ مبتدأٌ، ولك خبرٌ، واللّامُ للاختصاص[4]؛ والتّركيبُ مستعملٌ في الإنكارِ على نفْيِ ائتمانِهم على يوسُفَ[5]، والتّعجّبِ من ذلك[6]، أي استفهامٌ إنكاريٌّ تعجّبيٌّ، والمعنى: أيُّ شيءٍ ثبتَ لك منَ الشُّبهةِ في أمانتِنا فجعلكَ لا تأمَنُّا على يوسُفَ؟[7].

بيانُ الاستفهامِ التّعجّبيّ، وأثرُه في استنزال يعقوبَ عن رأيِه

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/257، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/227.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/257.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/257.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/163.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/257.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/245.
(7) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/217.

والغرَضُ هو الحثُّ على إرسالِ يوسُفَ معهم، ويَبدو من قولهم هذا أنّ أباهم يعقوبَ ﷺ كان يَحرصُ على يوسفَ، ولا يتركُه يخرجُ معهم، فبدأوا بالإنكارِ عليه في تركِ إرسالِه معهم كأنّهم قالوا: إنّك لا ترسلُه معنا أتخافُنا عليه؟[1]، والمعنَى: لمَ تخافُنا عليه ونحن نريدُ له الخيرَ ونحبُّه ونُشفقُ عليه؟ وما وُجد منّا في بابِه ما يدلُّ على خلافِ النّصيحةِ والمحبّةِ، وأرادوا بذلك لمّا عزموا على كيدِ يوسفَ استنزالَه عن رأيه[2].

مُـواجـهـةُ أبـيـهِـم بـبـيـانِ حـالِـه معهُم، اسـتِـجـاشَـةٌ له لـنـفْـيِ مـدلـولِـه والتَّسليمِ لهم بعَكسِه

موقعُ جملةِ ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾، والغرَضُ منها:

جملةُ ﴿لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ حاليّةٌ، والمعنَى: أيُّ شيءٍ لك في حالِ كونِك لا تأمنّا على يوسُفَ[3]، والجملةُ مثارُ التّعجّبِ، وقد جرى الاستعمالُ بملازمةِ الحالِ لنحو (ما لك)، فيقولون: ما لك لا تفعلُ وما لك فاعلًا؟[4]. والغرَضُ من قولهم هذا: مواجهةُ أبيهم ببيانِ حالِه معهُم استِجاشَةً له لنفْيِ مدلولِه والتَّسليم لهم بعَكسِه وهو تسليمُهم يوسُفَ، وذلك بأنْ أظهروا عند أبيهم أنَّهم في غايةِ المحبّةِ ليوسُفَ وفي غاية الشَّفقةِ عليه، وأنّ حالَ أبيهم أنّه منعَهم ذلك مرارًا، وفي هذا عَتَبٌ عليه بأنَّه يخافُ منهم على يوسُف، وهم بكلامِهم هذا وضعوا أباهم في موضعٍ لا خيارَ له فيه، وإلَّا فإنّ عدمَ إرسالِه يعني تخوينَهم واتّهامَهم وانطواءَ صدرِه على أمورٍ ليستْ صحيحةً، وهم يعلمون في الوقتِ ذاتِه أنّ أباهم يحبُّ تطييبَ قلبِ يوسُف فاغترَّ بقولهم وأرسلَه معهم[5]. والحديثُ بلسانِ الجماعة ﴿تَأْمَنَّا﴾ و﴿قَالُوا۟﴾ و﴿أَبَانَا﴾ و﴿لَنَـٰصِحُونَ﴾ إقناعٌ له بذلك؛ إذ لن يتوقّعَ أنْ يتّفقوا كلُّهم على الكذبِ عليه والإضرارِ به.

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 4/219.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/448.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/25.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 15/338.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/425.

فائدةُ قراءةِ جمهورِ القُرّاء بالرَّومِ والإشمامِ في ﴿تَأۡمَنَّا﴾:

في نُطقِ الرَّومِ والإشمامِ، تصويرٌ لحالةِ اضطرابِهم، ودَلالَةٌ على نفيِ سكونِ قلبِ يعقوبَ

قراءةُ الجمهورِ في قولِه تعالى: ﴿لَا تَأۡمَنَّا﴾ بالإشمام، أوِ الرَّوم غيرَ أبي جعفر[1]، أمّا الرَّومُ فهو إضْعافُ الصَّوتِ بالحركةِ حتى يذهبَ معظمُ صوتِها (يقدّر بالثّلث) فيُسمعَ لها صوتٌ خفيٌّ يسمعُه القريبُ المُصغي لقراءتك دونَ البعيد، وأمّا الإشمامُ فهو الإشمامُ الوحيدُ في وسطِ الكلمةِ في القرآن الكريم، ويكونُ بضمّ الشّفتَين إشارةً إلى الضمّة المُقدّرةِ، لكنْ من غيرِ أنْ يظهرَ لذلك أثرٌ في النُّطقِ.

وفي الرَّوم - وهو ضعفُ الصوتِ بالنّونِ والإشمامِ الذي يكونُ بضمّ الشّفتين -: تصويرٌ للحالةِ النّفسيّةِ وحالةِ الاضطرابِ والارتباكِ التي كانتْ في إخوة يوسُفَ عليه السلام، فقد تعثّروا في نُطقِ الكلمةِ بوجهِها الصّحيحِ سواءً في قوّتِه أو حركةِ الشّفتين أثناءَ نُطقه، وقد قيل: كاد المُريبُ أنْ يقول خذوني، ولذا استخدموا التَّوكيدَ في كلامِهم؛ لإخفاءِ هذا الاضطرابِ.

وفيه أيضًا دلالَةٌ على نفيِ سكونِ قلبِ يعقوبَ على يوسُفَ بِأَمْنِه عليهِ مِنهم على أبلغِ وجْهٍ، مع أنَّهم وَفقَ ما أظهروه أهلٌ لأنْ يَسكُنَ إليهم بذلك غايةَ السُّكونِ، ولو ظهرتْ ضمَّةُ الرَّفعِ (تأمنُنَا) عندَ أحدٍ مِنَ القُرّاءِ فاتَ هذا الإيماءُ إلى هذهِ النُّكْتَةِ البديعةِ[2].

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ في جملة: ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾:

استعلاءٌ مجازيٌّ يُصوّرُ حالَ يعقوبَ في عدمِ تمكينِهم من يوسُفَ

عدَّى البيانُ القرآنيُّ فِعْلَ الأمن المَنفيَّ ﴿لَا تَأۡمَنَّا﴾ بحرف الجرّ ﴿عَلَىٰ﴾؛ للاستعلاءِ المجازيِّ بمعنَى التّمكّنِ من تعلّق الائتمانِ بمدخول ﴿عَلَىٰ﴾ وهو يوسُفُ عليه السلام[3]، أي: ما لكَ لا تُمكّنُنا منه، ولكنّ التَّعبيرَ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ أفادَ تصويرَ حالِ يعقوبَ في عدمِ تمكينِ إخوةِ يوسفَ منَ الانفراد به.

(1) ابن النّاظم، شرح طيبة النشر، ص: 66.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/26.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/228.

موقعُ جملةِ: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ وفائدتُه:

بيانُ حالِهم الصّادقةِ المُخلصةِ ليوسُفَ، توكيدٌ لإغراءِ يعقوبَ بتسليمِهم إيّاه

جُمَلةُ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ في مَوضِعِ الحالِ[1]، والمعنَى: لماذا لا تأمنّا على يوسفَ "والحالُ إنّا له لناصحون"[2]، أي والحالُ إنّا لَنَخُصُّهُ بالنُّصحِ الخالِصِ مِنْ شائبةِ التَّفريطِ أوِ التَّقصير[3]، فنحنُ عليه حذِرون عاطِفون، قائِمون بمصلحتِه، وأفادتِ الحالُ توكيدَ إظهارِ نُصحِهم ليوسُفَ؛ فالنُّصحُ دليلُ الأمانةِ وسببُها، ولِسَترِ ما كانوا يحاولون إخفاءَه منَ المكرِ المُريب، والارتباكِ والاضطرابِ، فَهُمْ يريدون خلافَ ذلك لِما له في قلوبهم منَ الحسدِ لحبِّ أبيه له.

بَلاغةُ اجتماعِ المُؤكِّداتِ في جملتَيِ النُّصحِ والحفظِ:

المبالغةُ في إظهارِ نُصحِهم وحفْظِهم ليوسُفَ، احتيالٌ في تحصيلِ مقصدِهم

الجملتان: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ و﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، اجتمعَ في الجُملتَين عدّةُ مؤكِّداتٍ، وهي: (إنّ)؛ التي تفيدُ توكيدَ الخبرِ وهو النُّصحُ والحفظُ ليوسفَ، ومجيءُ ﴿وَإِنَّا﴾ بصيغةِ الجمعِ، إذ نُصحُ الجمْعِ لا كنصحِ الواحدِ، والتّوكيدُ بالجملةِ الاسميّة، التّي تَدلُّ على الثّباتِ وقوّةِ الحُكْمِ وَبَقائِه، أي هو نُصحٌ وحفظٌ ثابتان مُستمرّان، والتّوكيدُ باللّام المُزحلقةِ، والتّوكيدُ باسْمِ الفاعلِ ﴿لَنَٰصِحُونَ﴾ و﴿لَحَٰفِظُونَ﴾، وهو من أهمّ الأسماءِ الصَّرفيَّةِ الذي يدلُّ على حدثٍ ثابتٍ غيرِ محدَّدٍ بزمنٍ، فيشملُ الماضي والحالَ والمستقبلَ، بما يُعطي للمعنَى مزيدًا منَ المبالغة لثبوتِ ودَوامِ نُصحِهم وعطْفِهم وحفْظِهم على يوسفَ، لا مجرّدَ الحدوثِ؛ كونُه أتى في سياقِ الجملةِ الاسميَّةِ، وتقديمُ ﴿لَهُۥ﴾ على الخبرِ ﴿لَنَٰصِحُونَ﴾ و﴿لَحَٰفِظُونَ﴾. كلُّ هذه المُؤكِّداتِ مجتمعةً أفادتِ المبالغةَ في تأكيدِ إظهارِ المحبّةِ ليوسفَ عليه السلام والإشفاقِ عليه[4]، وإظهارِ كمالِ ثباتِ نُصحِهم وحفْظِهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/229.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/25.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/244، ورشيد رضا، تفسير المنار: 12/218.
(4) ابن الأثير، المثل السّائر: 2/192.

له؛ ليَبلغوا الغرَضَ من أبيهم في السّماحة بإرسالِه معهم، قال أبو السّعود: "أكّدوا مقالتَهم بأصنافِ التّأكيدِ من إيرادِ الجُملةِ اسميّةً، وتحليتِها بإنّ واللّام، وإسنادِ الحفْظِ إلى كلِّهم وتقديمِ ﴿لَهُۥ﴾ على الخبرِ؛ احتيالًا في تحصيلِ مقصدِهم"[1]، وترويجًا لمقالِهم وإظهارًا أنّهم يقولون ذلك على صدْقِ رغبةٍ[2].

والتّأكيدُ فيهما للتّحقيقِ تنزيلًا لأبيهم منزلةَ الشّاكِّ في أنّهم يحفظون يوسُفَ وينصحونَه، كما نزّلوه منزلةَ من لا يأمنُهم عليه، من حيث إنّه كان لا يأذنُ له بالخروج معهم للرّعي ونحوِه[3]، ولشعورِهم بارتيابِه فيهم، فأظهروا أنّهم ما حرِصوا إلا على فائدةِ أخيهم وأنّهم بليغونَ في النُّصحِ له وحفْظِه.

سِرُّ التّعبيرِ بلفْظِ ﴿لَنَٰصِحُونَ﴾، دونَ غيرِه:

ذكْـرُ النُّـصحِ وهـو الصّـفاءُ والإخـلاصُ، يَشي بما يُخْفونَه مـنَ الـدَّغـلِ المُريبِ

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾، وفيه آثرَ البيانُ الإلهيُّ استعمالَ مُفردةِ النّصح دونَ غيرها كالوعظِ والإرشادِ والهدايةِ، فلم يقل: (لَواعظون أو لَمرشدون أو لَهادون)؛ لمناسبتِه للمقامِ الذي هو مقامُ التّلطّفِ والتّودّدِ وإظهارِ المودّةِ والشّفقةِ والحبِّ والحرْصِ على إدخالِ السّرورِ على قلبِ يوسفَ بالتّوسُّعِ في الأكلِ والشُّربِ والتّنزُّهِ واللّعبِ، ولذا لا يُناسبُه استعمالُ الوعظِ الذي هو زجرٌ مقترنٌ بتخويفٍ، ولا يناسبُه كذلك لفظُ الإرشادِ والهدايةِ اللّذين هما الدّلالةُ على استقامةِ الطّريق، فيوسفُ لا يحتاجُها؛ إذ هو أهدَى وأرشدُ وأقومُ وأصلحُ إخوته. وإنّما المناسبُ هنا هو النّصحُ الذي يدلُّ على الصّدقِ والإخلاصِ[4]، وعدمِ الغشّ[5]، ونقاءِ القلبِ، يُقال: ناصحُ الجيب أي

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/257.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 10/266.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/229.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (نصح).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نصح).

نقيُّ القلبِ لا غشَّ فيه[1]، وذلك حتى يُقنعوا أباهم بأنْ يأمنَهم على يوسُفَ، كما أنّ التَّعبيرَ بالنُّصحِ يناسبُ استنكارَهم على أبيهم بعدم ائتمانِهم على يوسُفَ؛ "والنّصحُ دليلُ الأمانة وسببُها، ولهذا قُرِنَا في قوله: ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: 68]"[2].

تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿لَهُۥ﴾، على الخبرِ:

في التّقديمِ تأكيدُ الاهتمامِ، بشأنِ يوسُفَ، وفي التّأخيرِ تشويقٌ لنُصحٍ وحفْظٍ قُصرَ عليه

تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿لَهُۥ﴾ في الجُملتَين على الخبر: ﴿لَنَٰصِحُونَ﴾ و﴿لَحَٰفِظُونَ﴾؛ لأمورٍ:

الأوّلُ: للاهتمامِ بالمُقَدَّم وهو شأنُ يوسُفَ عليه السلام، في ظاهر الأمرِ، والتّشويقِ للمؤخَّرِ وهو النّصحُ والحفظُ له.

الثّاني: لمراعاةِ الفاصلةِ التي تنتهي بالنّون؛ إذ لو أُخّر الجارُّ والمجرورُ لَما تحقّقَ إحكامٌ في الفاصلة؛ إحكامُ لفظٍ: أي جمالُه الصّوتي؛ إذِ النّونُ قد وردتْ في فاصلةِ ثلاثٍ وتسعين آيةً في سورة يوسفَ، وهي بلا شكّ أغنَى الحروف العربيّةِ في الإيقاع والصَّوت، ولها في علْمِ التّجويد نصيبٌ بارزٌ وحظٌّ ظاهرٌ وقِسطٌ وافرٌ، وإحكامُ المعنَى: وهو التّناسبُ بين الفاصلةِ وسياقِ الآية.

الثّالثُ: للقَصر الادِّعائيِّ؛ أي جعلوا أنفُسهم لفرطِ عِنايتهم به بمَنزلةِ مَن لا يَحفَظُ غيرَه، ولا يَنصحُ غيرَه، أي ما حرِصوا إلّا لفائدة أخيهم[3].

الرّابع: لتوكيد ادّعاءِ صدقِهم وإخلاصِهم بما ينفعهُ وحفظِهم له[4].

مُناسبةُ الفاصلةِ ﴿لَنَٰصِحُونَ﴾ لسياقِ الآيةِ:

التّأكيدُ على نُصحِهم ليوسُفَ، نفيٌ لتُهمةِ عدمِ أمانتِهم عليه

قولُه تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾، وفيه جاءتِ الفاصلةُ ﴿لَنَٰصِحُونَ﴾ متمكّنةً في نظْمِ الآية، بل تشكّلُ

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (نصح).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/25.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/229.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/257.

جُزءًا من معنَى الآية، ولو طُرحت لاختلّ المعنى؛ لارتباطها بما قبْلها ارتباطًا وثيقًا، فإنّ سياقَ الآية يمهِّدُ للفاصلة؛ فقد تضمّنتِ الآيةُ ما يُشعرُ بالفاصلةِ إشعارًا معنويًّا لطيفًا؛ وهو ما يُعرفُ بالتّوشيح؛ فإنّ إخوةَ يوسُفَ لَمّا أرادوا الاحتيالَ على يعقوبَ ﷺ بالإنكار عليه بأنّه لا يأمنُهم على يوسفَ ختموا كلامَهم بذكر سبَبِ الأمنِ وهو النُّصحُ، أي: لمَ لا تأمَنُنا عليه، وحالتُنا هي النُّصحُ له وهو دليلٌ على الأمانة، وكان قد أحَسَّ منهم قبلُ ما أوجبَ ألَّا يأمَنَهم عليه[1].

الاستئنافُ البيانيُّ، في السّياقِ المُفصحِ عنِ المرادِ:

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ جملةَ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ عنِ التي قبلَها ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾، ولم يأتِ بينهما بعاطفٍ؛ لوقوع جملةِ ﴿أَرْسِلْهُ﴾ استئنافًا بيانيًّا؛ لِما بين الجُملتَين من شبْهِ كمالِ الاتّصال؛ وذلك لأنّ الإنكارَ المتقدّمَ مِن إخوة يوسفَ على عدم ائتمانِهم عليه بقوله: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾، يثيرُ تَرقُّبَ يعقوبَ ﷺ لمعرفة ما يريدون منه ليوسُفَ ﷺ[2].

بيانُ ما ترقَّبَه يعقوبُ من غايةِ العِتابِ الاستنكاريِّ، بشأن يوسُفَ ﷺ

فائِدةُ التّقييدِ والتّقديمِ بالمعيّة ﴿مَعَنَا﴾، وبظرْفِ الزّمان ﴿غَدًا﴾:

قيّدَ البيانُ الإلهيُّ طلبَهم بإرسالِ يوسفَ ﷺ، ﴿أَرْسِلْهُ﴾ بظرفِ مكانٍ ﴿مَعَنَا﴾ متعلّقٍ بالفعل، وبظرفِ زمانٍ للمستقبل ﴿غَدًا﴾ يُطلق على اليوم الذي بعد يومك متعلّقٍ بـ ﴿أَرْسِلْهُ﴾ أيضًا[3]؛ تطمينًا ليعقوبَ وإقناعًا له بأنّه لن يرسلَ يوسُفَ إلى الصّحراء وحدَه، أو مع أغرابٍ عنه، وإنّما معهم وهُم إخوتُه وعصبةٌ أقوياءُ، يَحمونَه ممّا يَحمونَ به أنفسَهم، بل يَصدُقون ويُخلصون في حمايتِه وحفظِه، وأنّ هذا الإرسالَ كذلك سيكونُ لمدّة يومٍ واحدٍ يبدأُ منَ الغداة إلى العشيّ،

مَعيّةُ الإخوةِ النَّصَحَةِ، وعدمُ طولِ البُعدِ، هو أمانٌ ليوسُفَ واطمئنانٌ ليعقوبَ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/244.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/228.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/458.

أي لنْ يغيبَ يوسفُ عنه كثيرًا، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف: 16].

وأمّا تقديمُ ظرفِ المكان على ظرف الزمانِ ﴿غَدًا﴾؛ فلأنّ ﴿مَعَنَا﴾ تدلُّ على الحال، وغدًا تدلُّ على الاستقبال، والحالُ مقدّمٌ على الاستقبالِ.

سِرُّ اختيارِ لفْظِ الإرسالِ:

مِـن مكْـرِهـم اختيارُ الألفاظِ الّتـي تُـناسبُ حـالَ يـوسُـفَ ويعقوبَ

في اختيار مُفردةِ: ﴿أَرۡسِلۡهُ﴾: إشارةٌ إلى أنَّ يعقوبَ عليه السلام كان يُمسِكُه، ويَصحَبُه دائمًا معه[1]؛ إذ إنّ الإرسالَ في المحبوس إطلاقُه[2]، فالإرسالُ يأتي عكسَ الإمساكِ ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [فاطر: 2]، وكذلك إشارةٌ إلى أنّ يعقوبَ لم يكنْ يحبُّ ذهابَ يوسُفَ معهم، وإنّما سيأخذونَه على مضضٍ منه، وهذا المعنَى لا يظهرُ فيما لو عبّرَ البيانُ الإلهيُّ بـ (ابعثه) الذي يدلُّ على الإثارة والاندفاعِ.

وفي اختيار لفظ الإرسال أيضًا إيماءٌ بإظهارِ الشّفقةِ على يوسفَ عليه السلام بأنّ في زيادةِ خوفِ يعقوبَ عليه تضييقًا عليه، يريدون: أنّ إلزامَك إيّاه أنْ يكون بمكانك، مُوجبٌ لملالِه القاطعِ لنشاطه على العبادة، واكتسابِ الكمالاتِ"[3].

ويتميّزُ لفظ الإرسال بمعنَى الرّفقِ والتُّؤَدة والسّهولةِ[4]، وهذا أنسبُ للمقام الذي هو التّودّدُ والتّلطّفُ من قِبَلِ إخوةِ يوسُفَ، بخلاف لفْظِ (ابعثه) الذي يدلُّ على الإثارة والاندفاع[5]، انبعث الشّيء: اندفعَ، وبعثَه من نومه: أيقظه وأهَبَّه، والبعثُ: النّشور[6].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/245.
(2) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النواظر، ص: 152.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/156.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رسل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بعث).
(6) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، وابن منظور، لسان العرب: (بعث).

الغرَضُ من فعْلِ الأمرِ ﴿أَرْسِلْهُ﴾ وجوابِه:

توسّلٌ ورجاءٌ معلّلٌ بما فيه مصلحةٌ ليوسُفَ، إغراءً لأبيهم على تسليمِهم إيّاه

قولُه تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾، عبّر البيانُ الإلهيُّ بفعْلِ الأمر ﴿أَرْسِلْهُ﴾، وغرضُه التّوسّلُ ورجاءُ الموافقةِ على إرسالِ يوسُفَ معهم، وقد جاءَ جوابُ هذا الطلب تعليلًا له ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ أي "عَلَّلوا طَلَبَه، والخروجَ به، بما يمكِنُ أنْ يستهويَ يوسُفَ لِصباه؛ من الرُّتوعِ، واللَّعِب، والنَّشاطِ"[1]، وفي ذلك إغراءٌ لأبيهم على هذا الأمرِ الذي أرادوه عليه، وجذبٌ له إلى تلك المَصْيدة الّتي نصبوها له! فهو بإجابتِهم إلى هذا الطّلب يُحقّقُ ردَّ اعتبارِهم عنده، ويُحقّق إتاحةَ الفرصةِ ليوسفَ، ليأخذَ حظّه ممّا يأخذُه الصّبيانُ[2].

إيثارُ استعمالِ الفعْلَين: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾:

تصويرُ ما ينتظرُ يوسُفَ من التّنعُّمِ والمَسرّةِ واللّعبِ، إقناعٌ ليعقوبَ لتسليمِه لهم

عبّر البيانُ الإلهيُّ بمفردةِ ﴿يَرْتَعْ﴾؛ لاتّساع دلالتِها؛ إذ تدلُّ على رعْيِ الإبل والماشيةِ[3]، وهذا فيه إدخالُ السّرورِ على قلبِ يوسُفَ بأنْ يشاركَ بأعمالِ الكبارِ ويكونَ تدريبًا له، وهو أمرٌ يحبُّه الصّغارُ، كما تدلُّ على أكلِ ما يشاءُ، أي الاتّساعُ في المأكلِ والمشرب[4]، وهذا يحبُّه الصّغارُ أيضًا، وتدلُّ كذلك على الإقامةِ في الخَصبِ والتّنعُّم[5]، وهذا ترويحٌ للنّفسِ وإدخالٌ للسّرور عليها، وتدلُّ على المراعاةِ وهي حفظُ الشّيء، أي يراعي بعضُنا بعضًا ويحرسُه[6].

والتّعبيرُ بصيغةِ المضارع يدلُّ على استمرارِ هذه المعاني المذكورةِ، وأنّها متجدّدةٌ، وعلى تصويرِ مشاهدِها في المُخيّلةِ، بما يحملُه هذا

(1) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/224.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/1241.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/569، والواحديّ، التّفسير البسيط: 12/36، ورشيد رضا، تفسير المنار: 12/218.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رتع)، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/220، ورشيد رضا، تفسير المنار: 12/218.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/245.
(6) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/224 - 225.

التّصويرُ ليوسفَ وهو يرعى ويأكلُ ويتدرّبُ ويتنعّمُ من زيادةِ إقناعٍ ليعقوبَ ﷺ بإرسالِه معهم.

كما عبّرَ البيانُ الإلهيُّ بمفردةِ ﴿وَيَلْعَبْ﴾ دون غيرِها كاللّهو، فلم يقلْ: (يرتع ويلهو)؛ لكونِه أنسبَ مع حالِ يوسفَ ﷺ؛ إذ في اللّهو غفلةٌ وانشغالٌ بشيءٍ عن شيءٍ، يُقال: لهوتُ بالشّيء إذا لعبتُ به وتشاغلتُ وغفلتُ به عن غيرِه، واللّهوُ: ما يشغلُ الإنسانَ عمّا يَعنيه ويُهِمُّه[1]، وهذا لا يناسبُ حالَ يوسُفَ ﷺ الذي لا يشغلُه اللّعبُ عن واجباتِه وما يَعنيه، كما أنّ اللّهوَ في القرآن مذمومٌ، بخلافِ اللّعب فمنه مذمومٌ ومنه ما كان فيه غفلةٌ ومنه مباحٌ، ومنَ اللّعب ما يكونُ للتّأديب[2].

والتّعبيرُ كذلك بصيغةِ المضارع في قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَبْ﴾ يدلُّ على أنّ الاستراحَ وتعجيلَ المسرّةِ التي ستكونُ للطِّفل يوسفَ باللّعب مستمرّةٌ، ويدلُّ على تصوير مشاهدِ يوسفَ وهو يلعبُ في مُخيّلة يعقوبَ ﷺ بما يحملُه على الموافقةِ بإرسالِه مع إخوته.

وفي عطْفِ فعْلِ ﴿وَيَلْعَبْ﴾ على فعلِ ﴿يَرْتَعْ﴾ دلالةٌ على اكتمالِ التّنعُّم وتنوّعِه ليوسفَ ﷺ في هذه الرّحلةِ.

نُكتةُ الاستعارةِ في الفعْلِ ﴿يَرْتَعْ﴾ في السّياقِ:

في الاستعارةِ ترغيبٌ بما يَستهْوي الطّفلَ يوسُفَ منَ التّنعُّم بالأكلِ الكثيرِ

الأصلُ في الرّتعِ أكلُ البهائمِ في الخَصْب زَمَنَ الرَّبيع، ويُستعارُ للإنسان إذا أُريدَ به الأكلُ الكثيرُ[3]، وهي استعارةٌ تصريحيّةٌ تبعيّةٌ، أي شبَّه البيانُ الإلهيُّ خوضَ الإنسان في الأكلِ الكثيرِ واستزادتَه منه برتْعِ الدّوابِّ في الأرض الخصبةِ، أي: بأكلِها الشّديدِ المُبالَغِ فيه، ثم حَذف المشبَّهَ.

(1) الرّاغب، المفردات: (لهى).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 254.
(3) الراغب، المفردات: (رتع)، والخازن، لباب التّأويل: 2/515.

تـفـنّنُ إخـوةِ يوسُفَ في إقناعِ أبـيـهـم بـمـا يَستهْوي يوسفَ لِصِباه منَ الرّتعِ واللّعبِ

تَوجيهُ القراءات في قوله: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾:

في ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ قراءاتٌ متواترةٌ: **القراءةُ الأولى**: ﴿نَّرْتَعِ وَنَلْعَبْ﴾ بالنّونِ فيهما، وكسرِ العينِ في ﴿نَّرْتَعِ﴾[1]؛ بإخبارِ إخوةِ يوسُفَ عليه السلام عن أنفُسِهم ويوسفُ منهم، أي بصيغةٍ تدلُّ على اتّصاله بهم، وأنّهم جمعٌ واحدٌ، يرتعون معه، ويرتعُ معهم[2].

القراءة الثّانيةُ: ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ﴾ بالياءِ فيهما، وكسرِ العينِ في ﴿يَرْتَعِ﴾[3]؛ بإسنادِ الفعلِ إلى يوسُفَ، والإخبارِ بذلك عنه عليه السلام.

وقراءةُ ﴿نَّرْتَعِ﴾ و﴿يَرْتَعِ﴾ بكسرِ العينِ فيهما على معنَى: (يفتعل)، منَ الرّعيِ: ارتعيتُ فأنا أرتعي[4]، والارتعاءُ للإبل والمواشي، وقد أضافوه إلى أنفسِهم أو إلى يوسُف؛ لأنَّ المعنى يرتعي، أو نرتعي إبلَنا، وقال مجاهد هي من المُراعاة: أي يراعي بعضُنا بعضًا ويحرسُه[5].

والمعنى على القراءة الأولى: ﴿نَّرْتَعِ وَنَلْعَبْ﴾ أنّهم نسبوا الرّعيَ إلى أنفسهم ويوسُفُ معهم؛ لأنّهم بالغون كاملون وعليهمُ القيامُ بحفظ المالِ، وليتدرّبَ يوسُفُ على الرّعيِ وحِفظِ المال، وكذا نسَبوا اللّعبَ المباحَ إلى أنفسِهم ويوسفَ ترويحًا عن نفسه معهم، وإدخالًا للسّرور على قلبه.

وعلى القراءة الثانية: ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ﴾: يُباشرُ رعيَ الإبلِ ليتدرّبَ بذلك فمرّةً يرتعُ، ومرّةً يلعبُ كفعل الصّبيانِ[6].

القراءةُ الثّالثةُ: قراءةُ ﴿نَّرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾ بالنّونِ فيهما وجزمِ العَين من ﴿نَّرْتَعْ﴾[7]؛ بإخبارِ إخوةِ يوسُفَ عليه السلام عن أنفُسِهم ويوسفُ معهم.

(1) قرأ بها ابن كثير المكي، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/293.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3807.
(3) قرأ بها نافع المدني وأبو جعفر. يُنظر: ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر: 2/293.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 15/569.
(5) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/224 - 225.
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/426.
(7) قرأ بها أبو عمرو البصري، وابن عامر الشامي، يُنظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/293.

القراءةُ الرّابعةُ: قراءةُ ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء فيهما وسكونِ العين[1]؛ بإسنادِ الرَّتْعِ واللّعبِ إلى يوسُفَ عليه السلام[2].

وقراءةُ ﴿نَرْتَعِ﴾ و﴿يَرْتَعْ﴾ بسكونِ العينِ فيهما على معنى اللّهوِ والاتّساعِ في أكلِ الفواكهِ وغيرِه، "منَ الرّتوعِ وهي الإقامةُ في الخصب والمَرعى في أكلٍ وشربٍ"[3]، والمرادُ مِنَ اللّعبِ الإقدامُ على المباحاتِ، لأجل انشراحِ الصّدر، وأيضًا كان لعبُهم الاستباقَ، والغرَضُ منه تعلّمُ المحاربةِ والمقاتلةِ مع الكفّار، والدّليلُ عليه قولُهم: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: 17]، وإنّما سمَّوه لعبًا لأنَّه في صورته[4].

من خلال القراءاتِ السّابقةِ يتبيّنُ لنا تفنّنُ إخوةِ يوسُف في إقناعِ أبيهم بأخذِ يوسُفَ معهم؛ فهم يَعْرضون على يعقوبَ أنَّهم هم من سيتولَّى الرّعيَ؛ لأنّهم بالغون مكلَّفون بحفظ المالِ، وأمّا يوسفُ فلنْ يُكلّفَ بعمل، وإنّما سيقضي وقتَه في اللّعب والتّرويح عنِ النّفس، وأنّه سيرعى معهم بعضَ الشّيء تدريبًا له على الرّعي وحفظ المالِ، وسيلعبُ معهم ألعابًا مباحةً تُدخلُ السّرورَ على قلبه ويَتقوّى بها، وبأنَّهم سيُقيمون معًا في الخَصْبِ والمَرعى الذي يريحُ النّفسَ بمنظرِه الجميلِ مع التّوسّعِ في الأكل والشّربِ، وسيقضي يوسُف وقتَه كلَّه؛ يأكلُ ويتنَزَّهُ في البرّيَّة، وينشطُ ويلعَبُ، وأنّهم مع ذلك كلِّه سيحمونَه ويحرسونَه ويَحمون بعضَهم بعضًا، فهم عصبةٌ أقوياءُ، أي علّلوا طلَبَ الخروجِ به بما يمكنُ أنْ يستهوي يوسفَ لِصباه منَ الرُّتوع واللّعبِ والنّشاطِ[5].

موقعُ جملةِ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وارتباطُها بجملةِ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾:

جُملةُ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ في موضعِ الحالِ[6]، والمعنَى: يرتعُ ويلعبُ حالَ كوننا حافظين له.

وأفادتِ الحالُ توكيدَ إظهارِ حفظِهم ليوسُفَ، فإنّهم سيتولَّون حفظَه وهو يأكلُ ويشربُ ويلعبُ، وسيحمونَه من أنْ ينالَه مَكروهٌ أو أذًى.

(1) قرأ بها أهل الكوفة (الكسائي وحمزة وعاصم) ويعقوب وخلف، يُنظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/293.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/426.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/223.
(4) الزمخشري، الكشاف: 2/448.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/224.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/229.

ومجيءُ هذه الجملة متمّمٌ للجملةِ التي خُتمت بها الآيةُ السّابقةُ: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾؛ إذ إنّ كلَّ واحدةٍ منَ الجُملتَين حالٌ لإخوةِ يوسُف، وتتضمّنُ نوعًا منَ التّطْييب لنَفْسِ أبيهم، كأنَّهم قالوا: ما لك لا تأمنّا على يوسُف؟، فإنْ كنتَ تخافُ عليه إيَّانا معشرَ الإخوة كأنْ نقصدَه بسوء فإنَّا له لناصحون، وإنْ كنتَ تخافُ عليه غيرَنا ممّا يصيبُه، أو يقصدُه بسوء، ونحن متساهلون في حفظه فإنَّا له لحافظون.

أظهروا أنّهم جمَعوا ليوسفَ تأمينَين؛ تأمينًا دائمًا من أنفسهم، ثمّ تأمينًا مؤقّتًا من غيرِهم

والكلامُ بذلك مَسُوقٌ على ترتيبه الطبيعيِّ: ذكروا أوّلًا أنّه في أمنٍ دائمٍ من ناحيتهم، ثم سألوا أنْ يرسلَه معهم غداةَ غدٍ، ثم ذكروا أنّهم حافظون له ما دام عندَهم، وبذلك أظهروا أنَّهم جمعوا ليوسفَ تأمينين: تأمينًا دائمًا من ناحية أنفسهم، ثم تأمينًا مؤقّتًا من غيرهم.

نُكتةُ الجمْعِ في: ﴿لَنَٰصِحُونَ﴾ و﴿لَحَٰفِظُونَ﴾:

مجيءُ ﴿وَإِنَّا﴾ بصيغةِ الجمع، وكذا قولُه: ﴿لَنَٰصِحُونَ﴾ و﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ يفيدُ توكيدَ مضمون الجُملتَين؛ لأنّ نصْحَ وحفظَ الجماعةِ ليس كنُصح وحفظِ الواحدِ، والمعنَى: أنا وكلُّ إخوتي ليوسُف ناصحون وحافظون، وذلك بهدفِ تطمين يعقوبَ عليه السلام، وإقناعِه بإرسال يوسُفَ معهم.

التّعليلُ بنُصح الجماعةِ وحفظِهم أدْعى لطُمأنينةِ يعقوبَ وقَبولِه إرسالَ يوسُفَ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النّصح والوعظ والإرشاد:

تتقاربُ معاني هذه الألفاظِ وتتداخلُ، فجميعُها تشتركُ في معنَى إرادةِ الخيرِ بالطّرف الآخَرِ، وتوجيهِه إلى ما فيه صلاحُه، إلَّا أنّ هناكَ ما يميّزُ كلَّ لفظٍ عنِ الآخَر، وبيانُ ذلك:

الموعظةُ زجرٌ وتخويفٌ من سوءِ العاقبةِ، والنُّصحُ صدقٌ وإخلاصٌ، والإرشادُ دَلالةٌ وهدايةٌ

الموعظةُ في اللّغة: التّخويفُ والتّذكيرُ بالخير وما يرقُّ له قلبُه[1]،

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (وعظ).

والنُّصحُ والتَّذكيرُ بالعواقب[1]، وقيل: زجرٌ مقترنٌ بتخويفٍ[2]، وكأنّ الواعظَ يذكِّرُ وينبّه غيرَه إلى عواقب ما يفعلُه، أو ما هو مُقدِمٌ عليه ليتوقّفَ عنه، ويظهرُ وكأنّ الوعظَ خاصٌّ بالزّجر عمّا له عواقبُ سيّئةٌ، ثمّ عُمّم في الحضّ على ما له ثوابٌ[3].

والنُّصْحُ: النُّصْحُ خِلَافُ الغِشّ[4]، ونَصَحْتُ لَهُ نَصيحتي أي أَخْلَصْتُ وصَدَقْتُ[5]، والنّصيحةُ: إرادةُ الخيرِ والصّلاح للمنصوح له وإرشادُه له، فهو قولٌ فيه دعاءٌ إلى صلاحٍ، ونهيٌ عن فسادٍ[6]، وتَحَرّي فِعْلٍ أو قَوْلٍ فيه صلاحُ صاحبِهِ[7].

والإرشاد: أصلُ (رشد) يدلّ على استقامةِ الطّريق، والرُّشْدُ والرَّشَدُ: خلافُ الغَيِّ[8]، ونقيضُ الضّلال، والإرْشادُ: الدّلالةُ والهدايةُ[9]، أَرْشَدَه اللّه إلى الأمر: هداهُ، واسْتَرْشَدَه: طلبَ منه الرُّشْدَ، ومَنْ دلّ أحدَهم على الطريق المُؤدّي إلى الغرضِ المطلوبِ فقد أَرْشَدَه، وإذا قَبِل هو قولَ الدّالّ فسلكَ قَصْدَ السَّبيلِ فهو راشدٌ، والرُّشْدُ هو صلاحُ الأمرِ وكونُه على الوجهِ الصحيح[10].

إذن: تتميّزُ الموعظةُ بالزّجرِ المقترنِ بالتّخويف، والتّذكيرِ من سوءِ عاقبةِ ما هو مُقدِمٌ عليه ليتوقّف عنه. ويتميّزُ النُّصْحُ بالصّدقِ والإخلاصِ للمنصوحِ له، في حين يتميّزُ الإرشادُ بالدّلالة والهدايةِ إلى الصّلاح، وإلى الطَّريق المستقيم.

الإرسالُ والبعثُ:

يتقاربُ لفظا (الإرسال، البعث) إذ يشتركان في معنًى لُغويٍّ عامٍّ وهو التّوجيهُ، كما أنّه قد يُستعملُ كلٌّ منهما بمعنى الآخَر[11]؛ إذ أحدُ معاني الإرسال هو البعثُ[12]، وأحدُ معاني

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (وعظ).
(2) الراغب، المفردات: (وعظ).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وعظ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصح).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (نصح).
(6) الزبيدي، تاج العروس، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (نصح).
(7) الراغب، المفردات: (نصح).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رشد).
(9) الخليل، العين: (رشد).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (رشد).
(11) الكفوي، الكليات، ص: 244.
(12) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 151.

البعث هو الإرسالُ، إلّا أنّهما يفترقان ببعض الملامح المُميّزةِ لكلٍّ منهما، ومن هذه الفروق ما ذكرَه العسكريُّ، فقال: "الفرقُ بين البَعْث والإرسال: أنّه يجوزُ أَنْ يبْعَثَ الرّجلُ إلى الآخر لحاجةٍ تخصُّه دُونك ودونَ المبعُوث إليه، كالصَّبِيِّ تبعثُه إلى المكتبِ فتقول: بعثْتُه، ولا تقول أَرْسلتهُ؛ لأنَّ الإرْسَالَ لا يكون إلَّا برسالة، وما يجْري مجْراها"[1].

الإرسالُ توجيهٌ برِفقٍ وتُؤدةٍ، والبعثُ إثارةٌ واندفاعٌ وإيقاظٌ

بالإضافةِ إلى أنّ الإرسالَ يتميّزُ بملمحِ الرّفق والتُّؤدة والسّهولة؛ إذ إنّ أصلَ (رسل) يدلّ على الانْبعاثِ والامْتدادِ، والرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ[2]، والرِّسْل: الرِّفْقُ والتُّؤَدة، والإرْسالُ: الإطْلاقُ، والإهمالُ، والتَّخْلِيَةُ، والتّوجيه[3]، والإرْسَالُ في المَحْبوس إطْلاقه، وفي المُطلَق بَعثُه[4].

في حين يتميّزُ البعثُ بملمحِ الإثارة والاندفاعِ والإيقاظِ، إذ إنّ أصلَ (بعث) يدلّ على الإثارة[5]، والتّوجيهِ، ويختلفُ البعثُ بحسب اختلافِ ما عُلّق به، فبَعَثْتُ البعيرَ: أثرتهُ وسيّرتُه، وبعثَ اللّه الموتى: أخرجَهم وسيّرَهم إلى القيامة، وبعثَ رسولًا: أرسلَه ووجَّهه[6]، وانْبعثَ الشّيءُ: اندفعَ، وبعثَهُ من نومه: أيقظَهُ وأهَبَّه، والبعثُ: النّشورُ[7].

اللّعبُ واللّهوُ:

اللّعبُ واللّهوُ بينهما تقاربٌ دلاليٌّ؛ إذ يشتركان في معنى الخُلوِّ عنِ الحكمة والفائدةِ والنّفع والمقصدِ الصّحيح، إلَّا أنّ لكلٍ منهما ما يُميّزُه عنِ الآخر، ويظهرُ ذلك من خلال الآتي:

اللّعبُ فعلٌ قُصِدَ به تعجيلُ المَسرّةِ والاستراحِ به، واللّهوُ ما شغلَ عن مُهمّات الأمورِ

اللَّعبُ: ضدُّ الجدّ، وَيُقَالُ لِكلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَا يُجْدي عليه نَفْعًا:

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 289.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رسل).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رسل).
(4) ابن الجوزي، نزعة الأعين، ص: 152.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بعث).
(6) الراغب، المفردات: (بعث).
(7) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، وابن منظور، لسان العرب: (بعث).

إنّما أَنتَ لاعِبٌ[1]، ولَعِبَ فلانٌ إذا كان فعلُه غيرَ قاصدٍ به مقصدًا صحيحًا[2]، واللّعبُ: فعلُ ما لا فائدةَ فيه، وهو بمعنى الهزْل، فهو ضدُّ الجدّ، وقيل: اللّعبُ: كلُّ عملٍ لا يُجري على فاعله نفعًا[3]، فاللّعبُ فيه معنى العَبَثيّةِ التي هي عدمُ القصد والجَدوى[4].

واللّهو: أصلُ (لهو) يدلّ على شُغلٍ عن شيءٍ بشيءٍ، واللّهوُ هو كلُّ شَيْءٍ شَغَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ أَلْهَاكَ[5]، وقيل هو ما شغلك من هوًى أو طربٍ، والصُّدُوفُ عنِ الشيء[6]، ولهوتَ بالشّيء إذا لعبتَ به وتشاغلتَ وغفلتَ به عن غيره، وتركتَ ذكرَه وتشاغلتَ بغيره، وقيل: أصلُ اللّهو التّرويحُ عنِ النّفس بما لا تقتَضيه الحكمةُ[7]، واللّهوُ: ما يَشغلُ الإنسانَ عمّا يَعنيه ويُهمّه[8]، والشّغلُ عن مهمّات الأمور[9].

ومن معاني اللّهو في القرآن الكريم: الاستهزاءُ، وضربُ الطّبل والملاهي، والولدُ، والسُّرورُ الفاني، والغناءُ، والشّغلُ، والمنعُ[10].

وقد فرّق العسكريُّ بينَهما فقال: "الفرقُ بين اللّهو واللّعبِ أَنّه لا لَهوَ إلّا لعبٌ، وقد يكونُ لعبٌ ليس بلهْوٍ؛ لأنّ اللّعبَ يكونُ للتّأديب كاللّعب بالشّطرنج وغيرِه، ولا يُقالُ لذلك لَهوٌ، وإنّما لعبٌ لا يعقب نفعًا، وسُمّي لهوًا لأنّه يشغلُ عمّا يَعني، من قولهم ألهاني الشّيءُ أي: شغلني ومنه قولُه تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر: 1]"[11].

و"قيل: اللّهوُ واللّعبُ يشتركان في أنّهما اشتغالٌ بما لا يَعني من هوًى أو طربٍ حرامًا أو لا، وقيل: اللّهوُ أعمُّ مطلقًا، فاستماعُ الملاهي لهوٌ لا لعبٌ، وقيل: اللَّعبُ ما قُصد به تعجيلُ المسرّةِ والاستراحِ به، واللّهوُ ما شغلَ من هوًى وطربٍ، وإنْ لم يُقصدْ به ذلك"[12].

(1) ابن منظور، لسان العرب: (لعب).
(2) الراغب، المفردات: (لعب).
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (لعب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لعب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لهو).
(6) الخليل، العين: (لهو).
(7) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (لهو).
(8) الراغب، المفردات: (لهو).
(9) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (لهو).
(10) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 536.
(11) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 254.
(12) الزبيدي، تاج العروس: (لهو).

بالإضافة إلى فرقٍ آخرَ وهو أنّ اللَّعبَ فعلٌ، في حين أنَّ اللّهوَ انصرافٌ وانشغالٌ، وقد لا يكون فعلًا ، نحوَ الغفلةِ، فهي من أفعال القلوبِ[1].

(1) محمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 367.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»